

الحَقُّ نَقْلُ الْإِسْلَامِيَّةِ

فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَزَعِ الْوَهَابِيَّةِ
بِأَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

تَأَلَّفَ
الْحَاجُّ مَالِكُ بْنُ أَبِي الشَّيْخِ دَاوُدَ

د. الْحَبِيبُ الشَّيْخُ الْإِسْلَامِيُّ

الْقَاهِرَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء الكتاب

إلى حضرة المجاهد الأكبر ، المنهض حاله، والدال على الله مقاله،
سيدي ومولاي الحاج عبد العزيز سه. خليفة المسلمين وخادم الحضرة
الأحمدية في افريقية الغربية.

إنني أتشرف بإهداءكم هذه المؤلفات المتواضعة، تقديراً لمساعدكم
الحميدة، ومجهوداتكم الجبارة التي ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام
والمسلمين . ويسعدنا ان نؤكد في هذه السطور ما لفضيلتكم من أباد
بيضاء، ومواقف غراء ، في مختلف القضايا الاسلامية منها والوطنية . لقد
كنتم - يا فضيلة الشيخ - السند الأقوى والقُدوى الحسنی لأبناء هذه
الأمة المسلمة، وقمتم خير قيام لتحقيق التضامن وإصلاح ذات البين في
ظروف يكاد التعصب بين الطرق الصوفية ، والمذاهب الفروعية ، يمزق
شمل الأمة ويوهن قوتها أو يقضي عليها بالكلية .

ولكن لحسن الحظ، وبفضل ما أوتيتُم به من الحكمة وفَصْل الخطاب،
استطعتم أن تفهموا كل مَنْ يفهم القول بأن الطرق والمذاهب مَهْمَا تعددت
وتخالفت في الأشكال والنظم ، فإنها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة، وهي
توجيه العباد إلى معالم العبادات، وجعلهم أمة متحدة ذات هدف وشعور
مشتركين، وقد تحقق بحمد الله تعالى في عهدكم الزاهر الشيء الكثير من

تلك الأهداف الغالية . فنسأل الله العلي القدير ان يجعل سعيكم مشكوراً
وجزاءكم موفوراً إنه تعالى لا يُضيع أجر المحسنين.

إنها محاولة كانت ولا بد من ان نكتبها بمقتضى القضاء والقدر،
فلولا ذلك لما ظهرت إلى الوجود لضعف مستويينا الثقافي والتعبيري،
ولأن الكتابة تحتاج أيضاً إلى مزيد من الآلات غير المداد والقلم . فلسنا
متزودين بتلك الآلات التي هي معرفة اساليب الانشاء ، وقواعد التركيب
والترتيب . ولسنا كذلك من عارفي التصنيف، ولا آلفي التأليف . ولكننا
سلكننا مسالك غيرنا ، وتحملنا بما لا حول لنا به ولا قوة . والحق ان سلوكنا
وتحملنا بهذا وذاك، إنما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض
النصيحة لعامة المسلمين . والرسول ﷺ يقول : (الدين النصيحة).

هذا ولم يكن ليخطر ببالي ان اكتب مثل هذه الرسالة، إلا بعد ان
جالست بعض الوهابيين عدة مرات، وناقشت معهم شتى الموضوعات
الدينية .

اضف إلى ذلك ما رأيته في الكتب من مؤلفاتهم ، وما استمعت
إليه من محاضراتهم وندواتهم، فظهر لي ما يُسرّونه لغيرهم وما يعلنون
ـ ووجدتني - والحال هذه - مضطراً للدفاع عن المظلومين، وان أكف
أيدي المعتدين عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ﴾ {الشورى : ٤١}.

وقوله ﷺ : (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).

هذا ويمكن التحقيق من أن الهدف الوحيد والغرض الرئيسي من تأليف هذا الكتاب، هو بث الحقائق الاسلامية ، وتخليص ذوي الافهام المنحرفة من ورطة الإفراط والتفريط لا غير . ولست أقصد من وراء هذا العمل إلا الشفقة على الاخوان المسلمين، علماً بأن انتقاد أولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة - والعياذ بالله! - وليس لي أي غرض إلى شن الهجوم ضد الوهابيين أو التعدي عليهم بالظلم والعدوان. كلا! وحاشا!.

ولكنني في الواقع إنما أخاطبهم بلسان النصيحة، وأذكرهم - إن نفعت الذكرى - بأن دعوتهم هذه، وإن كانت في البداية لأجل نصره دين الله الحنيف، قد صارت اليوم - ويا للأسف - حجرة عثرة في طريق الأخوة الاسلامية، أو شبع جمره تحركها يد الشيطان فترمي بشرر العداوة بين المسلمين من جهة ، وبين ذوي الأرحام من جهة أخرى .



أو بعبارة أخرى، ككرة تتقاذفها الأهواء بين فرق من الجهال وأفراد ممن يسمّون أنفسهم (سنيين)، على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بمعنويات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسي وحاذرت كل الحذر حرصاً على توفير العدالة المنطقية ، ونظراً إلى أن-الحق أحق أن يتبع - إلّ التزمت ان لا أكتب في هذه المؤلفة غير الواقع المشهود ، استناداً على الحق وخوفاً من أن أكون كالناقد المتطرف الذي يعتمد فيما يكتب أو يقول: على القليل والقال. أو على الرجم بالغيب ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ {يوسف ٨١}.

هذا وأمل كبير في أن يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة

لقبول الحق أياً كان مصدره .

ولله در القائل : (أنظر لمعنى القول لا للقائل والحق مقبول ولو من جاهل) وسميتها بالحقائق الاسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم أني اعتذر مرة أخرى لكل من اطلع عليها من النجاة وذوي الثقافة بأني لا أملك غير حسن الظن بالله وهو المسؤول بأن يتم لي المقصود. ويجعلها مقبولة لديه ، خالصة لوجهه الكريم ، نافعة لمن اطلع عليها إنه ولي التوفيق والهادي بمنه إلى الصراط المستقيم .

الحاج مالك به

نزيل مدينة «كوتبالا» جمهورية «مالي»

الوهابية وَمَنْعُهَا التَّوَسُّلَ

بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع، والبحث عن أحكامه وأهدافه، يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسي الذي يمثل جوهر المشكلة ولَبَّ الخلاف بين الوهابيين المتطرفين والمسلمين المعتدلين . ذلك لأن الوهابيين يمنعون التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، ويبالغون في نفيه وإنكاره، بل ويحرمونه إطلاقاً ويزعمون أنه من الشرك بالله .

ويحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين ومن يعبدون الأصنام على المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والصالحين فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ {الاحقاف: ٥}.

وقوله جلَّ شأنه : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ {الجن : ١٨}.

وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا
مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ {يونس: ١٠٦}.

ويزعمون أن كل من استغاث بالنبي ﷺ أو توسل به أو بغيره من
الأنبياء والأولياء والصالحين، أو ناداهم، أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً
في جملة هؤلاء المشركين وداخلاً في عموم وعيد هذه الآيات وهو عندهم
بمنزلة من يعبد الأصنام، ويتخذ من دون الله شركاء. ومن هنا ثارت ثائرة
العداوة والخلافات، وقامت القيامة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم بصفة
لا يمكن تسويتها، طالما يُصرُّ الوهابيون على هذا الموقف المتطرف المتمثل
في تضليل الأمة أو تكفيرها، والمتعارض مع نصوص الكتاب والسنة،
والاجماع.

والوهابيون - في هذا التأويل البعيد - معذورون من حيث الخطأ
في فهم معنى كلمة «الدعاء» التي تأتي حيناً بمعنى العبادة، وأحياناً بمعنى
النداء، وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء
لا غير. ولذلك يحرمون نداء غير الله، كما تحرم العبادة من دونه تعالى.

وحيث ذهبوا هذا المذهب، ووقفوا عند هذا الحد، فهم مقصرون
عن ادراك كنه هذا الكلمة لغةً واصلاحاً، فيجب أن نُعذرَ لهم أو نُنذرَهم.
وكلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معان:

منها: العبادة كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

{الحج: ١٨}.

ومنها: النسبة كقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ {الأحزاب: ٥}. أي
انسبهم إليهم .

ومنها : النداء كقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ {البقرة:
٢٣}. أي نادوهم.

ومنها : السؤال كقوله تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ {غافر: ٦٠} أي
إسألوني.

ومنها الدعوى الى الشيء كقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ﴾ {النحل: ١٢٥}.

ومنها التمني كقوله : تعالى : ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ {يس : ٧٥}.

ومنها القول كقوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾ {يونس: ١٠}.

ومنها : التسمية كقوله تعالى : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ
كَدُّعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ {النور: ٦٣}.

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية أن كلمة الدعاء
تأتي بمعنى التوسل، وقد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغة
وشرعاً.

ولا سبيل إذا إلى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات
الفاصلة فتأمل .

وكلمة «الدعاء» في جميع هذه الآيات الآنفه الذكر وما أشبهها معناها
العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الانسان حياً أو ميتاً جائز شرعاً
وضروري أيضاً لتعلقه بالحوائج الشرعية والمعاملات الدينية والدينية،
وقد جاء نداء الأموات من الأحاديث الواردة في زيارة القبور كقول الزائر:
(السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا
انشاء الله بكم لاحقون)، ففي هذا النداء للأموات خطابهم . وإنما يجب ان
نميز بين كلمة «الدعاء» التي بمعنى العبادة وتلك التي بمعنى النداء ، كي
لا نضل ولا نُضلّ ...

أما التوسل فجائز شرعاً ومرغوب فيه أيضاً، لأنه من فعل الأنبياء
والسلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد توسل أبونا آدم بسيدنا محمد ﷺ كما في الحديث : (لما اقترف آدم
الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا
آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي
فرايتُ على قوائم العرش مكتوباً «لا اله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت
أنك لم تُضِفْ إسمك إلا إلى أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا
آدم، إنه لأحب الخلق إليّ وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد
ما خلقتك) رواه الحاكم وصححه الطبراني .

وإلى هذا الحديث أشار الامام مالك رحمه الله لل خليفة المنصور لما سأله

وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك: يا أبا عبد الله، أَسْتَقْبِلُ القبلة وأدعو أم أَسْتَقْبِلُ رسولَ الله ﷺ وأدعو؟ فقال له الامام مالك رحمته: ولمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك إلى الله تعالى، بل استقبل واستشفع به فَيُشَفِّعْهُ الله فيك ...

وأما صدور التوسل من النبي ﷺ فقد صح في أحاديث كثيرة منها قوله: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك). وصح عنه عليه أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب عليه ما أَلَحَّهَا عليه في القبر بيده الشريفة وقال: (اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين).

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله في حياته وبعد وفاته عليه. وقد روى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح: أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر عليه، فجاء بلال بن الحارث عليه إلى القبر الشريف وكان من أصحاب النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، اسْتُسْقِ لَأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ هَلَكُوا، فَأَتَاهُ رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يُسْقَوْنَ وكان كذلك .

فإتيان هذا الصحابي الجليل إلى القبر الشريف ونداءه للرسول عليه ليطلب منه أن يَسْتَسْقِيَ لَأُمَّتَهُ دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به عليه، وذلك من أعظم القُرْبَات. وَرُوي عن أنس ابن مالك ان عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال:

«اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم
 نبينا فاسقنا» قال فيُسَقُونَ انتهى. وفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حجة على
 التحقيق لقوله ﷺ في حقه: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه). ومما
 ذُكِرَ في هذا الباب دليل على أن التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم
 جائز لفعل بلال بن الحارث رضي الله عنه ذلك، عند القبر الشريف .

وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضاً، لموافقته بفعل عمر بن
 الخطاب. الذي توسل إلى الله بسيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ...

ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها
 الطبراني في الكبير، وفيها: أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدة
 قال فيها:

وأشهد أن الله لا ربَّ غيره وأنت أدنى المرسلين وسيلة

وأنت مأمون على كل غائب إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعَة بِمُغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله قوله: أدنى المرسلين وسيلة، ولا قوله: وكن
 لي شفيعاً

وكذلك من أدلة التوسل مرثية صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة

رسول الله ﷺ. فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات قالت فيها :

«ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا وكنت بنا برأ ولم تك جافيا»

ففيها النداء له بعد وفاته، ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا. وقد ذكر العلامة ابن حجر^(١) في كتابه المسمى بالخيرات الحسان أن الإمام الشافعي كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رحمته الله. وقد ثبت أيضاً أن الامام أحمد ابن حنبل كان يتوسل بالإمام الشافعي، وقد صح أن الشافعي رحمته الله توسل بأهل البيت النبوي بأبيات قال فيها :

آل النبي ذريعتي أرجو بهم أعطى غدا

وهم إليه وسيلتي بيدي اليمين صحتي

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله ﷺ، وبعضها عن أصحابه الكرام، وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وليس في ذلك كفر ولا اشراك، ومن تتبّع أذكار السلف الصالحين وأدعيتهم وأورادهم، وجد فيها شيئاً كثيراً من التوسل ولم ينكر عليهم أحد في ذلك، حتى جاء هؤلاء المنكرون الذين عمدوا إلى تحريمه وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأئمة من العلماء والعباد والزهاد وقالوا إنهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ {الزمر: ٢٣}.

(١) شهاب الدين أحمد بن محمد المكي الشافعي المتوفى سنة : ٩٧٤.

وحاصل شبهة هؤلاء المانعين للتوسل، أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء - أحياء وأمواتاً - أشياء جرت العادة بأنها لا تُطلب إلا من الله تعالى، ويقولون للولي مثلاً: افعل لي كذا وكذا، أو نَجِّنِي من كذا وكذا، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل ان يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للايهام وسداً للذريعة.

نعم نحن نوافق هؤلاء المانعين في ناحية، ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة، ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الإيهام. ولكن من ناحية أخرى نقول لهم:

إذا كان الأمر كذلك، وقصدكم سد الذريعة، فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من تلك الألفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل، دون تكفيرهم أو إشراكهم، مع أن تلك الألفاظ يجب حملها على المجاز العقلي وهو جائز ومستعمل على السنة جميع المسلمين، ووارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة. ألا ترى أنه يجوز لأحدنا أن يقول: أعطاني فلان كذا ومنعني فلان عن كذا، أو نفعتني زيد أو ضرتني عمرو، مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الضار والنافع، وهو المعطي والمنع فإسناد هذه الأفعال إلى غير الله تعالى يعتبر مجازاً عقلياً لا يؤدي بقائله إلى الكفر ولا إلى الشرك، وله شواهد كثيرة في الكتاب والسنة.

منها قوله تعالى : ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ {طه : ٨٥}.

وقوله : ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ {البقرة : ٢٥١}.

فإسناد الاضلال والقتل هنا إلى السامري وإلى داود مجازي . ولأن الله تعالى وحده هو المضل والمميت على الحقيقة . وجاء في الحديث كما في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة (بينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ) فإسناد الاستغاثة إلى هؤلاء الأنبياء مجازي، والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة وبراهين قاطعة لجواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين . وفيها الكفاية لمن أراد الله له الهداية والتوفيق، وأما من انظمست بصيرته وانسدت حواسه فما تغني الآيات والنذر ولا يفيده الوعظ والتذكير.

ونحن في توسلنا بالأنبياء والأولياء، لا نعتقد أنهم يستحقون العبادة، ولا أنهم يخلقون شيئاً أو يملكون ضرراً أو نفعاً، ولا نعتقد أن لهم تأثيراً في شيء من الأشياء، وكل ما بيننا وبين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود من العدم والعائد إلى الفناء، لا كتعظيم الخالق المعبود الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فنداؤنا بهم لا يعني سوى التبرك بأسمائهم، والاستئناس بذكرهم لكونهم عباداً مكرمين، اصطفاهم الله وهداهم، وخصهم بحظوة من عنايته الربانية، وفيضة من نفحاته الرحمانية،

فبذكرهم تنزل الرحمات. وبه تحيي القلوب وتنشط العضلات.

وهذه هي غاية ما نقصد في التوسل بالأولياء والصالحين، وليس فينا من يركع أو يسجد لنبي، أو لولي، أو لشيخ ! ولكننا لا نعبد إلا الله ولا ندعو إلا إياه وفي الحديث:

(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى). ونحن نحمد الله تعالى من المؤمنين الموحدون بكل ما للكلمة من معنى .

فالتوحيد عقيدتنا، والعمل به شريعتنا، فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نستهيئ بشريعتنا. ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ {يوسف : ٣٨}.

أما أولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذب عن التوحيد، ويحجّزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الأمور الدنيوية، ويحرمون ذلك في الأموات، قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات، مع أنه لا تأثير لأحد في الحقيقة حياً كان أو ميتاً، وإنما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وحده...

فليتنبه الوهابيون لهذه الحقائق، وليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولمزيد من التوضيح في هذا الموضوع، فإن منكري التوسل بالأنبياء والصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج التي

فرضها الله علينا والتي من بينها : الطواف بالبيت العتيق، وتقبيل الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات .

ومعلوم أن هذه الأشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع، ولكن قد شرفها الله تعالى وعظّمها، وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها، والدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والأخروية .

ونحن نعلم علم اليقين، بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الأقدار، ولكن هل يقال: إن من قصدها أو تضرّع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا ! وكلاً!

فإذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته، فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الأنام، فعند ذكرهم تنزل الرحمت، وبسبب وجودهم تُرفعُ النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه الغزم، وهو ان نداء الأنبياء أو الأولياء نوع من أنواع الشرك، لأنه نداء لغير الله. ويقولون بأن ظاهر النداء لابد وأن يدل على أن المنادي يعتقد من المنادي القدرة أو التأثير . وحينئذ فاعتقاد القدرة أو التأثير لأحد غير الله تعالى شرك لا محالة .

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها الاجماع ولكن لو سلّمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف

فرضها الله علينا والتي من بينها : الطواف بالبيت العتيق، وتقبيل الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات .

ومعلوم أن هذه الأشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع، ولكن قد شرفها الله تعالى وعظمها، وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها، والدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والأخروية .

ونحن نعلم علم اليقين، بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الأقدار، ولكن هل يقال: إن من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا ! وكلاً!

فإذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته، فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الأنام، فعند ذكرهم تنزل الرحمت، وبسبب وجودهم تُرفعُ النعمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم، وهو ان نداء الأنبياء أو الأولياء نوع من أنواع الشرك، لأنه نداء لغير الله. ويقولون بأن ظاهر النداء لابد وأن يدل على أن المنادي يعتقد من المنادى القدرة أو التأثير . وحينئذ فاعتقاد القدرة أو التأثير لأحد غير الله تعالى شرك لا محالة .

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها الاجماع ولكن لو سلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف

نجد أن ظاهر الصلاة والصيام والنطق بالشهادتين يدل هو أيضاً على الإيمان بالله والتصديق بما جاء بعد الرسول الكريم.

وإذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قرروا أن يكفروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا أن يعترفوا بإسلامهم بظاهر الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين . فهل هذا - ان صح التعبير - إلا نوع من الجحود، أثر من آثار الجهل الذي هو أشد من الكفر...

وخلاصة الكلام : فإن المحذور شرعاً في التوسل، هو اعتقاد التأثير من أحد غير الله تعالى كائناً من كان، وهو شرك اتفاقاً سواء كان ذلك الاعتقاد في نبي أو ولي أو صالح أو حيوان أو جماد أو في أي شيء آخر وأما من لم يعتقد التأثير في أحد غير الله تعالى فلا إثم عليه، وليس في مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالماً.

أما محبة أولياء الله تعالى والصالحين، وصحبتهم لله، والتصدي لخدمتهم، والتأدب لهم والتبرك بهم، فكلها جائز لا يمنعها الشرع بل يأمر بها ويحث عليها، لأنها من أعمال البر الموجبة للفوز والسعادة في الدارين . ولا ينكر ذلك منكر، لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة.

وأصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها في القرآن الكريم... وإن شئت فاقرأ قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (الكهف: ٩).

فإن هذا الكلب لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم
لقد حسن من قال :

واختر من الاخوان كل مهتد وصحبة الاخيار للقلب دوا

إن القرين بالقرين يقتدي تزيد من المرء نشاطاً وقوى

واخيراً نختم هذا الموضوع بتحذير أولئك الذين يكفرون المتوسلين
والمستغيثين بالأنبياء والصالحين ان يكفوا عن ذلك، لأنه قد يفضي بهم
الى ارتكاب الذنوب، ويؤدي إلى تكفيرهم لجميع الأمة أو أكثرها وهو
مستحيل لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ {آل عمران : ١١٠}.

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) حديث
شريف أخرجه الترمذي.

ما هو الشرك؟ وكيف أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك أحداً يستحق العبادة من دون الله
تعالى، أو هناك من يشارك الله في الالوهية أو يساعده في الإيجاد والتأثير.
ومن الشرك أيضاً الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه أو لغيره جلب
المنافع أو دفع المضار، أو هناك من يمكن له التصرف في الأمور أو التأثير
في الكائنات من تلقاء نفسه .

ومهما اعتقد المرء شيئاً من هذه المذكورات في واحد من المخلوقات،

سواء اعتقدها في نبي أو في ولي أو في شيخ أو في حيوان أو في جماد كان مشركاً حقاً بالاجماع.

لأن المخلوقات كلها على اختلاف أشكالها وتنوع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقاً، وهي لا تملك جلب المنافع ولا دفع المضار، ولا قدرة لها على التأثير في حد ذاتها، فاعتقاد ذلك على أي مخلوق، آدمي كان أو غيره هو الشرك الأكبر وهو الكفر الصريح.

هذا وليس من المستحيل ولا من الغريب، أن يقع بعض الناس غير المعصومين في أودية الكفر والضلال، بينها ينهمك البعض الثاني في المعاصي والمنكرات حين يتقيد البعض الآخر بالشرعية الاسلامية والسنة الغراء.

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة والظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم، لأن الله تعالى قد خلق الناس وهم مختلفون في الذكاء والغباوة، والضعف والقوة، ومتفاوتون في الجهل والمعرفة، والاجتهاد والتقصير، وتبعاً لهذا الاختلاف الطبيعي والتفاوت الفطري، فممنهم من يقترب من الاسلام إلى حد مرضي عنه، بحيث يطيع الأوامر ويجتنب النواهي، ومنهم من يبتعد عنه وينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل فرد وطبيعته، وإلى تلك المراتب متفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ {فاطر : ٣٢}.

ولكن هذا الابتعاد، لا يخرج المسلم المقصر عن دائرة الاسلام، ما

دام يدين بالولاء لهذا الدين الحنيف، وينتسب إليه، فإذا صدر من المسلم بعض الأقوال أو التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر، وهو لم يُردِّ بها تغيير إسلامه، ولا ارتداداً عن دينه، فلا يُحكم عليه بالكفر ولا بالردة، ومهما تورط المسلم في المآثم، واقترف من جرائم، فهو مسلم، لا يجوز اتهامه بالردة أو الكفر.

وقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : (من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم). وقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضاً بالكفر لعظم خطر لهذه الجناية .

وقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر : (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء به أحدهما). ولا يُعتَبَرُ المسلم خارجاً عن الاسلام ولا يُحْكَمُ عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر، واطمأن به قلبه، ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ {النحل: ١٠٦}.

ويقول الرسول ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشي عن تكفير كل من انتسب للاسلام، حتى أنهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الأمر بقتلهم وذلك دفعاً لضررهم لا لكفرهم.

هذا ولما كان ما في القلب غيباً من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله

تعالى وحده، كان ولا بد من الكفر عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تختمل التأويل .

وقد نسب إلى الامام مالك رحمته أنه قال : من صدر عنه ما يختمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ويختمل الإيذان من وجه واحد فحمل امرء على الإيذان .

فالشرك هو الكفر باللفظ والمعنى، وبأجملة والتفصيل، وهما ضد التوحيد المقرر في أصل الأديان السماوية عامة .

ومن أصل هذا الدين الاسلامي خاصة بشهادة الله في كتابه العزيز حيث يقول تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

فالمشرك بالله هو الكافر به، الجاحد بوحدانيته، المكذب بالأنبياء والرسل وبما جاءوا به من عند الله من الدين والشرائع، وهو أعظم أنواع الضلالة وأشدّها على الله، وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي . لقد صرح القرآن الكريم ونّبّه في عدة آيات عن خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلناً بأن الشرك لظلم عظيم .

وقال جل من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَتَقَبَّلُ مَا دُونُ ذَلِكَ مَنْ شَاءَ ﴾ [الشورى : ٢٢] .

وقال : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [النور : ٢٢] .

وقال مخاطباً حبيبه المصطفى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {الزمر: ٦٥}.

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز، لا تترك
مجالاً للشك في أن الشرك عظيم وخيم العواقب.

هذا وينقسم الشرك إلى ستة أنواع .

شرك الاستقلال: وهو اثبات آلهين مستقلين كشرك المجوس .

شرك التبعية: وهو تركيب الآلة من عدة آلهة كشرك النصارى .

شرك التقريب: وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه إلى الله زُلْفَى كشرك
مقدمي الجاهلية .

شرك التقليد: وهو عبادة غير الله تبعاً للغير، كشرك متأخري
الجاهلية .

شرك الاسباب: وهو اسناد التأثير للاسباب العادية، كشرك الفلاسفة
والطبيين ومن تبعهم على ذلك .

شرك الإعراض: وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء، لقوله عليه
الصلاة والسلام: (الرياء هو الشرك الأصغر) «أخرجه أحمد» .

فحكم الاربعة الأولى الكفر بالاجماع وحكم السادس المعصية من

غير كفر بالاجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل :

فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبيعتها فهو كافر بالاجماع، ومن اعتقد انها تؤثر بقوة أودعها الله فيها ، وانها اسباب عادية فقط. وقد تتخلف عن مسبباتها في بعض الاحيان، والمؤثر في الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

وعلى هذا فإن الشرك في الدين الاسلامي ضربان :

أحدهما الشرك الجليّ، وهو الإشراف في العبودية، وذلك اعظم الكفر نعوذ بالله منه .

والثاني : الشرك الخفي، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور كأعمال الصّائين، وقد ورد في الحديث النبوي : (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاء) ويعني بذلك «الرياء» لقوله عليه السلام في حديث آخر : (الرياء هو الشرك الأصغر) رواه أحمد.

فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء، لا يخرج المسلم عن دائرة الاسلام، وإنما يحبطُ الأعمال فقط، كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله ﷺ : (من عمل عملاً أشرك فيه غير الله فعمله مردود عليه).

وأما الكفر، فهو أيضاً على أربعة أقسام : كفر الإنكار وذلك بأن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحود، وكفر المعاندة، وكفر النفاق، فمن لقي ربه بواحدة من هذه لم يُعَفَّرْ له. ويغفر الله ما دون ذلك

لمن يشاء.

فأما كفر الإنكار، فهو أن يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد والعبادات .

وأما كفر الجحود، فهو أن يعترف بقلبه ولا يقرّ بلسانه، ككفر إبليس وجنوده من شياطين الأنس والجن .

وأما كفر المعاندة، فهو أن يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يدين به ككفر أبي جهل وأضرابه .

وأما كفر النفاق، فهو الإقرار باللسان وعدم الاعتقاد في القلب، كالمنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ومن تبعهم على ذلك إلى يوم القيامة.

والكفر - على وجه التحديد - إنما يكون بإنكار الضروريات من الدين الاسلامي، كانكار وجود الباري ووحدانيته وانكار رسالة محمد ﷺ أو رسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو بإنكار الفرائض كوجوب الصلاة، أو بإنكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التي بنى عليها الاسلام .

الوهابية وانكارها للبدع مطلقاً

يغتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين وتوجيه انتقادات حادة لهم وخارجة عن الموضوع، ويحاربونهم بشتى الطرق والوسائل .

فمن ذلك القاؤهم على المسلمين شبهات للتلبيس عليهم دينهم، وتشويش عقائدهم، ويحاولون إحباط أعمالهم، وطردهم عن حظيرة الاسلام وإبعادهم عن حدود السنة.

وهاهم ايضاً ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها وما لا يجوز انكاره. ويحتجون بالحديث القائل : (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) رواه أبو داود.

وقد ساقهم ظاهر هذا القول إلى تكفير جماعة من المسلمين، ودم كثير من الأبرياء، ولو أنهم فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون .

والاعتراف بواقعية كل منهما وإلا فلا مجال للإنكار ...

ومعلوم أن العلماء قد اشترطوا لجواز النهي عن المنكر شرطين :
الأول: معرفة المنكر، والثاني: أن لا يؤدي تنبيهه إلى ارتكاب ما هو أعظم
منه. وأكثر النواهيين فيما ينكرونه اليوم، من البدع والمكروهات يرتكبون
اعظم منها، لأنهم بانكار هذه البدع يكتفرون المسلمين الموحدين الذين هم
في واد والكفر في واد، - لا جرم - أن تكفير المسلم الموحّد أكبر وأخطر من
ارتكاب بعض البدع والمكروهات .

وأعجب شيء منهم هو أنهم يتأثرون للبدع والمكروهات وينكرون
عليها بشدة، أكثر مما ينكرون على المحرّمات كالكذب والغيبة والسخرية
ونحوها من الكبائر. وقلما يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر الفاشية تأثيره
للبدع والمكروهات، وشأنهم هذا شأن من يبنّي قصرًا ويهدم مصرًا. وكان
عليهم أن يقدموا الأهم فالأهم ..

ولا يخفى أن القاعدة الإسلامية تقتضي أن لا يقول أحد قولاً ولا
يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه، وإلا فهو على خطر يخشى منه تحریم
الحلال أو تحليل الحرام .. ولا نعني بهذا أننا نجوز البدع كلها أو نسعى إلى
تشجيع البدعيين والمخالفين، بل بالعكس !

فتحسّن ضد البدع المخالفة للكتاب والسنة، وضد الأوهام والخرافات
الباطلة أيّا كان مصدرها، نسعى إلى قمعها والقضاء عليها بكل ما أوتينا
من حول وقوة. ولكنا في نفس الوقت، نعرّف بأن هناك بدعاً لا بأس بها
إذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات أو المسنونات، لأن كل ما

يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْوَاجِبِ وَاجِبٌ ، وَمَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى السَّنَةِ مَنْدُوبٌ .

وَنُؤْمِنُ كَذَلِكَ بِأَنَّ الْبِدْعَ - كَمَا ذَكَرَهَا الْفُقَهَاءُ - تَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، وَمَنْدُوبَةٌ ، وَمُبَاحَةٌ ، وَمَكْرُوهَةٌ ، وَحَرَامٌ . لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا حُكْمُهَا وَمَنْزِلَتُهَا .

وَلِذَلِكَ نَرَى وَجُوبَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ وَالْبِدْعَةِ الْقَبِيحَةِ لِنَسْمِيَ الْأُولَى سُنَّةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ : (مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

وَنَسْمِيَ الْآخَرَى بِدْعَةٍ كَمَا فِي حَدِيثٍ آخَرَ : (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَحْكُمَ عَلَى الْبِدْعِ كُلِّهَا مِنْ خِلَالِ ظَاهِرِ الْحَدِيثِ الْقَائِلِ : كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ . لِعِلْمِنَا بِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ نَسْتَعْمِلُهَا الْيَوْمَ فِي شُؤُونِنَا الدِّيْنِيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ تَمْشِيًّا مَعَ تَطَوُّرِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، مَعَ أَنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً وَلَا هِيَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ وَلَا فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ ، وَإِنَّمَا ابْتَدَعَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ .

وَإِذَا صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ الرَّسُولُ ﷺ فَهُوَ بِدْعَةٌ مُوجِبَةٌ لِلدَّخُولِ فِي النَّارِ . فَكَيْفَ بَنَّا وَنَحْنُ نَتَوَجَّهُ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ عَنْ طَرِيقِ الْجَوِّ ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ الْبَوَاقِرِ وَالسَّيَّارَاتِ ؟ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَدْخُلْ مَكَّةَ قَطُّ بِوَسَاطَةِ هَذِهِ الْمَخْتَرَعَاتِ الْحَدِيثَةِ ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَسْجِدَهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ مَجْهُزًا بِمَكْبَرَاتِ الصَّوْتِ وَلَا الْمَرَاوِحِ الْكَهْرِبَايَةِ كَمَا

هي الحال في مساجدنا اليوم، ولم يبلغنا قط أنه ﷺ صام أو أفطر بإخبار
الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها .

وإذ كانت عبادتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم
يفعلها الرسول ولم يباشرها في حياته، فمن ينجو منها؟ ومتى يمكننا تصديق
قوله ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) حديث شريف أخرجه الترمذي .
وقد قسم ابن عبد السلام^(١) الحوادث إلى الأحكام الخمسة فقال : البدعة
فعل ما لم يُعهد في عصر رسول الله ﷺ، فقال واجبة كتعلم النحو، وغريب
الكتاب والسنة ونحوهما، مما يتوقف فهم الشريعة عليه . ومنها محرمة
كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة . ومنها مندوبة كإحداث الرُّبُط
والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر وكل إحسان لم يُعهد في العصر
الأول .

ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف .

ومنها مباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر، والتوسع في
المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك :

ومن البدع المستحسنة أيضاً الكتب والتصانيف فهي محدثة لم يكن
شيء منها في زمن الصحابة، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة
بعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين .

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

بيان في أحكام الطُّرُق والأوراد الصوفية

هذا ومن الجدير بالذكر، أن من الرهبانيين من ينكرون الطُّرُق والاذكار الصوفية كالتيجانية والقادرية والشاذلية ونحوها ويرفضونها رفضاً باتاً ويرونها من البدع القبيحة، ويقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول، ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون، ويحملون الناس على تركها بكل ما لديهم من حول وقوة.

ويستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة : ٣).

وقوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام : ١٥١).

ويزعمون بأن هذه الأوراد هي السُّبُل المعنية في نص الآية .

وجوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بُعْدَ المشرق من المغرب،

فهذه الآيات وما شاكلها لا علاقة لها بنفي الورد أصلاً، وقد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشاً، وناهيك عما فيه من تحريف القرآن الكريم وافتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات ومعانيها معروفة بتقرير الفقهاء والمفسرين، ومن اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير .

أما الطرق الصوفية - كما يمكن ان نعرفها - إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه بشروط وأنظمة معينة تتفق مع مبادئ الاسلام وأهدافه. واركابها ثلاثة وهي: الاستغفار ، وإهليلجة والصلاة على النبي ﷺ.

والهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية - في نظر السادة الصوفية - هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التي أمر الله عبادة بذكرها بعد اداء فرائضهم، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء: ١٠٣).

وامثال أمره تعالى بقوله : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وقوله : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢).

وقد رأوا أن التعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه أفضل وأهم من جميع أنواع التعاون لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

هذا ومن المعلوم بالضرورة، ان هذه الأذكار التي ينكرونها مأخوذة كلها من الكتاب والسنة، وهي دائرة بين الاستغفار، والهيللة والصلاة على النبي ﷺ.

واما الاستغفار، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ {النصر : ١٣}.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ {هود : ٣}.

وأما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها، فمنها قوله عليه الصلاة والسلام : (يا أيها الناس توبوا الى الله جميعاً واستغفروه فإنني أتوب في اليوم مائة مرة) رواه مسلم.

وقال عليه السلام : (ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في اليوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعائة ذنب) رواه البيهقي.

اما الصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {الاحزاب : ٥٦}.

وفي الحديث : (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ومن صلى علي عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة كتب الله بين عينيه

براءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء) رواه مسلم.

أما الهيلة - لا إله إلا الله - فقد قال تعالى : ﴿ قَاعَلِمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِهِ ﴾ (محمد: ١٩).

وقال عليه السلام (أفضل الذكر لا إله إلا الله) رواه ابن ماجه والنسائي.

وقال أيضاً : (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله) رواه مالك بن أنس عن طلحة.

فمن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار المذكورة واتخذها السادة الصوفية طوقاً لهم بهدف التقرب الى الله والوصول إليه لا غير، فمن زعم أن لهم غرضاً غير ذلك أو هدفاً دون هذا فقد افترى، وقد تبين أنها مأخوذة كلها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فلا ينكر عليها إلا الجاهل الأحق أو السفیه المطلق.

وقد بشر الله الذاكرين بقوله تعالى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الاحزاب: ٣٥).

وقال أيضاً : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج: ١٠)، فلا يضرنا إذا انكار المنكر بما هو موافق للكتاب والسنة.

هذا وقد ورد في كتاب الذكر الله تعالى المؤلفه الحاج سعد بن عمر

بعد ان اورد جملة من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه، قال سيادته: فعما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والشهادة أن لا إله إلا الله، أذكار حث عليها الكتاب والسنة ورغباً في ذكرها، ووعد الله عليها ورسوله الثواب الجزيل، وغفران الذنوب، والدخول في الجنان، وإن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام دأبوا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناءً على هذا نصّرح بكل وضوح، ان الورقة التيجاني الذي ليس إلا كواحد من هذه الاذكار الجليلة، لا يكون بوجه من الوجوه حراماً أو بدعة قبيحة، كما لا يصح القول بأن الشيخ أحمد التيجاني رحمته الله اخترعه من عند نفسه، بل هي أذكار قرآنية محضة لا غبار عليها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين، لأن الدين قد تم قبله لقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ {المائدة ٣}.

ولقول رسول الله ﷺ: (تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله) رواه مالك .

نقول: وأي دين تم قبل لا إله إلا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله ﷺ، ومعلوم أن هذه الالفاظ الثلاثة هي أركان الورد

التيجاني وعليها مداره، فإن كان القائل يعني بتهام الدين الاسلامي نقول
فإن الله تعالى جعل لا إله إلا الله مفتاحه، والاستغفار مُذْهِبُ ذُنُوبِ أَهْلِهِ،
والصلاة على النبي ومعرفة جميل نَبِيِّهِ وقد نطق بها الكتاب والسنة، وعمل
بها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام والصالحون من أمته، وسيعمل بها
المسلمون الى يوم القيامة، سواء كانوا تيجانيين أو غير تيجانيين، فلا نجاة
لأحد ممن يتدين بالدين الاسلامي دونها».

هذا وللطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الاسلامية، وأثر بارز
في التأليف بين قلوب المسلمين، وجمع كلمتهم، وحلهم على التمسك بالكتاب
والسنة، وتعمير بيوت اِذْنَ الله ان تُرْفَعَ ويُذْكَر فيها اسمه بالصلاة والتسبيح
والتهليل بالغُذُوِّ والآصال.

وتعتبر الطريقة التيجانية بيت القصيد في نظم هذه الطرق الصوفية.
وقد اخطأ من انكر على هذه الطرق الدينية وزعم أنها بدعة مخالفة للكتاب
والسنة، أو اتهم زعماءها واعترض عليهم .

هذا، ولا ينكر أحد بأن الاسلام ما انتشر هنا في افريقيا السوداء إلا
بفضل جهود شيوخ الطُّرُق من امثال الحاج عمر الفوتي، والشيخ أحمد
أمير حمد الله، والشيخ محمد عبد الله سعاد، والشيخ عثمان فودي، والعلامة
الشيخ محمد بابه، والسيد الحاج مالك سه وغيرهم.

وقد قال الشيخ أحمد التيجاني: «وشرط هذا الورد المحافظة على
الصلوات الخمس في الجماعات والأمور الشرعية.

وإياكم ولباس حلة الأمن من مكر الله، فإنه عين الهلاك، وترك المقاطعة مع جميع الخلق، وأكد ذلك بينكم وبين الاخوان في الطريقة».

وهذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التيجانية بالصلاة التي هي عماد الدين، وأنها تحث على مواصلة الارحام وعدم الأمن من مكر الله، ومع ذلك فأورادها لم تراحم الفرائض ولا السنن في أوقاتها، بل هي موقفة في أوقات نُدب فيها الذكر خاصة، وهي من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر الى الغروب.

وأما ما ورد في كتب الطريقة من فضائل الذكر، وان من أخذ الورد التيجاني ودأوم عليه الى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب، ولا يعاقب هو ووالده وازواجه وذريته ان سلم الجميع من الانتقاد فهذه الوعود كلها داخلية تحت وعد الله ورسوله، وهي صادقة إن شاء الله تعالى .

ووجه ذلك، قد سبق أن علمت بأن الورد التيجاني ما هو إلا الاستغفار، والهيللة والصلاة على النبي ﷺ. فالآيات القرآنية والاحاديث النبوية تصرّح في أكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغة، وما وعده الله للذاكرين بها. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِكْرُ مِنْ أَثَرِ اللَّهِ كَثِيرًا وَالَّذِكْرُ لَاحِقٌ لِمَنِ أَحَدَ اللَّهُ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: ٣٥).

وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

وفي الحديث: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون

بذلك إلا وجهه إلا نادى مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت
سيئاتكم حسنات) رواه أحمد.

فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول الجنة وعدها الله للذاكرين وهو
تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

وأما ما يخص والديهم وأزواجهم وذرياتهم فقد قال تعالى : ﴿ جَعَلْتُ
عَذْرَ بَنِيهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ (الرعد: ٢٣).

وفي الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله عز وجل
ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقربهم
عنه) ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآلَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ
مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الزور: ١٢). فمن تأمل هذه الآيات والاحاديث النبوية،
تحقق بأن وعد الشيخ للذين حافظوا على الأوراد بشرطها تابع لوعد الله تعالى
في القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة، فلا
لوم على الذين تعلقوا بهذه الوعود الصادقة متكئين على الله تعالى القائل في
كتابه، العزيز : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣).

وأما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين الى الطريقة التيجانية مما
يخالف الشريعة الاسلامية، فإن الشيخ ليس مسؤولاً عنهم، وطريقته بريئة
منهم، كما ان الرسول ﷺ ليس بمسؤول عن أعمال جهلة المسلمين من
أمته، والدين الاسلامي هو ايضاً بريء مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين

وليس لأحد حجة على الشيخ بعد قوله : « وإذا أمرتكم بأمر زنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه ».

فعبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله أبو بكر رضي الله عنه.

حينما يبيع بالخلافة وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله وإن عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم ».

الوهابية ونضيها بتقليد أئمة المذاهب

يتنهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجاً خارقاً للاجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء.

وذلك أنهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية، وينفون التقليد هم والتقليد بمذاهبهم، زاعمين أن هم الحق في استنباط الأحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقليد بمذهب من المذاهب أو التقليد للإمام من أئمة الدين .

وهذا - في الواقع - تلبيس عظيم غرّوا به العوام من الجهّال وصغار الطلبة حتى أوقعوهم من حيث لا يخرجون. وقد يكون دافعهم الوحيد إلى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الأربعة والقضاء عليها، ليفسحوا المجال أمامهم كي يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف بالغير .

كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة تضليل العوام عن دَوْر هذه المذاهب وصرفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام وأحكام العبادات، بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لأنها قد وُضِعَتْ خصيصاً لتفصيل وتبيين ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي مجملاً من احكام العبادات والمعاملات.

بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - إلا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوي كما يزعمه بعض الجُهلة. ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مُضِلٌّ، وربما أذاه ذلك الى الكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر، ولأن كثيراً من القرآن والاحاديث ما ظاهره صريح الكفر ، ﴿وَمَا يَسْأَلُكُمْ تَأْوِيلُهُ، إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ {آل عمران ٧}.

ولا ينبغي إتهام الأئمة الاربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع، والكشف والانصاف، وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله ﷺ وقد بنى الامام مالك مذهبه على أربعة اشياء : آية قرآنية ، وحديث صحيح ، واجماع أهل المدينة، واتفاق جمهورهم .

وقد اجمع اهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد شاع ذلك حتى صار معلوماً من الدين بالضرورة.

ومعلوم عند كل أحد أن رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان، وأنه ليس في أبناء هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ومن توهم ذلك فقد غرَّه هواه، ولعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا - نحن الحق - أن نقلد هؤلاء الأئمة بدلاً من الاجتهاد الذي لم يصل إليه افهامنا، فالاجتهاد له شروط وبدونها يكون تلاعب وسخرية بشريعة الرسول ﷺ، أعاذنا الله من ذلك. وقد قال ابن القيم^(١) في كتاب «اعلام الموقعين» لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة عالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط أن يكون فقيها عالماً بكتاب الله حافظاً له عارفاً باختلاف قراءته، واختلاف قرائته، بصيراً بتفسيره، خبيراً بشحكه ومشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه. ومنها أن يكون عالماً بسنة رسول الله ﷺ، مميزاً بين صحيح أحاديثه وسقيمها. ومنها أن يكون ورعاً ديناً صائناً لنفسه، صدوقاً، ثقة يبني مذهبه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصاً فلا يجوز له أن يكون مجتهداً يقلده الناس.

وسأل رجل أحمد بن حنبل^(٢) إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهاً؟ قال: لا. قال: فما تفي ألف حديث؟ قال: لا. قال فثلاثمائة ألف حديث؟ قال: لا. قال: فأربعمائة ألف حديث؟ قال: نعم. ويقال إن أحمد بن حنبل أجاب عن ستمائة ألف حديث.

هذا ولا يجهل أحد منا أن العلماء في كل زمان ومكان كانوا كالتنوي والنسوطي وأحمد بن تيمية وابن القيم والفخر الرازي وطنطاوي والغزالي وابن القاسم وخليل بن اسحاق وغيرهم كانوا جميعاً على تقليد بالأئمة. مع أن كل واحد منهم له اليد الطولى في كل فن من الفنون، ولكن لما علموا

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ.

(٢) أحمد بن محمد بن أبي عبد الله المتوفى ٢٤١ هـ.

أنهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد فَوَقَفُوا عند حدهم وكانوا من جملة المقلدين.
«ورحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره».

هذا ومن الغريب جداً ان يكون باب الاجتهاد مفتوحاً امام الجميع يتسارع إليه الفقيه والسفيه، ويتزاحم لديه العالم المتبحر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه، ويتخبط ذاك بجهله، كلاً ! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتليب الحقائق بالأحلام ليس غير. فالاجتهاد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتفاع ومن المستحيل ان تحاول الوصول إليه عصبة من المتخلفين الذين كان الجدال - ولا يزال - هو مبلغهم من العلم ومنتهى حظهم في الفهم، وقد سَوَّلت لهم أنفسهم ان يجوّزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والأخذ بظاهر الآيات والاحاديث، علماً منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجاهل ونيل الشهرة والرياسة لدى الأميين الذين لا يُمَيِّزون بين السقيم والمستقيم، لأنهم يقولون : نحن نقول قال الله أو قال رسول الله، وغيرنا يقول، قال مالك وقال شيخ فلاني.

ومن هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالغوا في تقديمهم والاعتراض عليهم، وتراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونقلد بالائمة في اجتهادهم المتحمل للخطأ؟

وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك أو بقول شافعي أو بقول فلان وفلان ؟

وقد أجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله^(١) : «إن تقليد الأئمة في اجتihadهم ليس تركاً للأيات والاحاديث كما يزعمون، بل هو عين التمسك والأخذ بها فإن القرآن الكريم ما وصل إلينا إلا بواسطتهم مع كونهم أعلم منا بناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيدته، ومجمله ومثبته، ومُتشابهه ومُحكّمه، وأسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه، وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من أخطأ والمفترات .

وكذلك الاحاديث ما وصلت إلينا إلا بواسطتهم مع كونهم أعلم من بعدهم بصحيحها وخسبها وضعيفها ومرفوعها ومُرسَلها ومُتواترها وأحاديثها ومعصلها، وغريبها وتأويلها، وتاريخ المتقدم والتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها، مع تمام ضبطهم وتحريرهم لها وكما إدراكها وقوة ديانتهم واعتنائهم وتفرغهم ونور بصائرهم» .

وخلاصة القول، فإن مدعي الاجتهاد من أبناء هذا العصر، المنكرين لتقليد أئمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حبّ الظهور وقصد الشهرة بمقتضى قاعدة: «خالف تعرف» . أو يريدون بها تفريق وحدة المسلمين، وإثارة الشكوك والخلافات بين صفوفهم سعياً وراء مصالحهم الشخصية. وإلا فهُمْ أعلم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوي المكانة المعتمدة في العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلاً عن الاجتهاد الذي يقف دونه أكابر العلماء .

(١) وهو العلامة الشيخ محمد أحمد عيسى في كتابه فتح العلي المالك صفحة ١٠٠ .



مسألة القبض والسدّل

أما القبض، فهو الشعار الرسمي لوهابيين بلادنا وقانونهم المطبق، بل هو الركن المؤكد وشرطهم الاساسي لصحة الصلاة وقد يبتلون صلاة من ترك القبض وأسَدَلَ يديه، ولا يأتمون به، ويحكمون عليه بالكفر والفسوق تارة، وبالشرك والنفاق تارة أخرى.

فهذا الحكم الفاسد إما لجَهِلهم بفقهِ الصلاة، وإما لِإنكارهم على الامام مالك رحمته الله الذي كره القبض في الفرائض، ولا حجة لبعضهم في تأكيد هذا القبض واختياره على السدّل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ووجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم في الصلاة .

ونحن نجيب لأولئك البعض، بأن الحج إنما هو مؤتمر اسلامي كبير يشترك فيه آلاف المسلمين القادمين من بلاد مختلفة ومن اماكن شتى، فبعضهم على مذهب الحنفي والبعض الآخر على مذهب الحنبلي، وقد يكون بعض هذه المذاهب يُفضل القبض ويأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رحمته الله .

ولا ينبغي للملكي ان يترك مذهبه ويقلد غيره على هذه الصورة، خصوصاً إذا كان قبضه يؤدي الى سوء التفاهم واختلاف الآراء فيما بينه وبين قومه، فَصَوْنُ الوحدة الاسلامية والسعي لتقارب وجهات النظر بين المسلمين في شؤونهم الدينية والدنيوية أولى، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل قد رُحِّص فيها، ومع ذلك فلننا نحن مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال، وإنما أمرنا باتباع النبي ﷺ. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١].

ولم يقل: كان لكم في أهل مكة أية أسوة، فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين، مأمورون هم أيضاً باقتداء النبي ﷺ، لا ان يُقتدى بهم وحدهم. فمسألة القبض والسدل اذن ليست بمسألة مكيين أو مدنيين حتى نحتاج الى التقيد بها هنالك. ولكنها مسألة مرئية عن رسول الله ﷺ كباقي المسائل الفقهية .

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وإنهما من فعل المعصوم ﷺ، ولا يتصور أن يكون الامام مالك رحمه الله قد اختار السدل من تلقاء نفسه، أو أمر به بمجرد هواه، وحاشاه ان يفعله أو يأمر به دون ان تكون له اسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ في ذلك، ولا يليق بنا أن ننكر عليه أو نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل، ولا في غيره، لأنه أعلم منا بصلاة رسول الله ﷺ، وأفقهنا بحكم القبض والسدل، وهو رحمه الله إمام فقهاء عصره وقديهم على الاطلاق، ومذهبه عمري على المشهور. وحسبه فخراً كونه إماماً لدار الهجرة وعالم المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي ﷺ في حقه: (لا تقوم الساعة

حتى يظهر عالم المدينة).

وقال أيضاً (يخرج الناس من المشرق إلى المغرب في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة)

وسأل أبو حنيفة عن مالك فقال : « ما رأيت أعلم بسنة رسول الله منه » ومناقب الإمام مالك ~~عليه السلام~~ أظهر من شمس الضحى وأكثر من أن تُعَدَّ أو تُحصى.

هذا، ومن الواضح جداً أن منكري السدل الطاعنين به غير مقبدين بقوانين الفقه والحديث، وليسوا بمتفهمين بالمعنى الصحيح، لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله بن الزبير وأبي حميد الساعدي وغيرهم.

فالطعن على المسدلين طعن خاسع هؤلاء الصحابة والعباد بالله من ذلك، ومعلوم أن أصحاب رسول الله كالنجوم بأيهم اقتدينا واحتدينا.

وإننا نعتقد أن الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم وضعف الإدراك فهم - على ما يبدو - كأدوات مسخرة لأفكار بعض المتطرفين الذين يزعمون أن السدل بدعة قبيحة، وإن النبي ﷺ لم يفعله قط، ولم يأمر به، وذلك ما صرح به الأخ محمد المرزوق بن عبد المؤمن الغلاتي في كتابه : « القبض والارسال في الصلاة » وقد ذكر هذا الرجل في كتيبه المذكور أن مسدلي الأيدي في الصلاة بدعيون ملعونون ومستحقون الخلود في النار. وقال أيضاً: إن صلواتهم باطلة وعباداتهم عاطلة جميع

أعمالهم مردودة من أجل هذا السدل، لقول النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، من حديث عائشة. ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة إلا وأطلقها على الأئمة الكرام والعلماء الاعلام الآخذين السدل من صفة الرسول عليه السلام .

ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين، وباتفاق جمهور العلماء على مَرّ القرون والعصور .

هذا ومن المؤسف جداً ان هذا الكتيب-رغم ما فيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح- قد نال قبولاً حاراً واهتماماً بالغاً لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقداً على المسلمين، وتفرقاً بين صفوف المصلين، فصار القابض منهم يمتنع ان يصلي خلف السادل عملاً بما ورد في هذا الكُتَيْب. وتعطلت من اجل ذلك المساجد والزوايا، وشرعوا بحكم لم يأذن به الله ولم يُنزل به سلطاناً. ويتابع الفلاتي في صفحات كُتَيْبِه قائلاً :

«فإننا لم نجد للسدل حديثاً صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً حتى نعتمد عليه» نعم قد لا يجد الفلاتي الحديث عن السدل - كما ذكر - لأنه لم يكن متعمقاً في علم الحديث مثلما تعمق في علم السب والملعن والشتم، والاستاذ الفلاتي - كما يبدو لنا في اسلوب لعناته وعباراته في الطعن والتشنيع - يبدو وكأنه تخرج من «كلية البذاءة»، وقد حاز فيها على شهادته العليا «في الوقاحة والجرأة» لذلك لا يمكن له أن يكتب أو يتكلم إلا بما يناسب ثقافته المشؤومة.

أما كون السدل من فعل المعصوم عليه السلام، فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذي أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة .

وخلاصته : « أن رجلاً دخل المسجد وصلى بحضور الرسول عليه السلام، ثم جاء فسلم عليه، فقال: (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تُصَلِّ)، فصل ثم جاء فسلم فقال: (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تُصَلِّ)، فصل، ثم جاء فسلم فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فقال في الثانية أو في الثالثة: علمني يا رسول الله فقال (إذا قمت إلى الصلاة فأفسح وضوءك، ثم استقبل القبلة فتكبر اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها). وزاد في رواية أخرى (فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منها فإنها أنتقصت من صلاتك).

هذه كيفية للصلاة بتمامها ذكرها الرسول عليه السلام ولم يذكر فيها القبض . وصح الاستدلال بهذا الحديث على أن كلما ذكر فيه واجب لا تصح الصلاة بدونه، وما لم يذكر فيه فليس بواجب، وهو عليه السلام كان يومئذ بمقام تعليم الواجبات في الصلاة ولا يجوز في حقه أن ينسى شيئاً منها أو يقتصر بذكر بعضها دون البعض .

وكذلك حديث أبي حميد الأنصاري الذي أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي، وذلك أن أبا حميد كان في عشرة من أصحاب رسول الله عليه السلام، فقال أنا أعلم بصلاة النبي عليه السلام، قالوا : نعم فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعاً ولا أقدمنا

صحبة، قال بلى. قالوا: فاعرض أي صف لنا صلاة النبي، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يجاذي بهما مَنكِبَيْهِ ثم يكبّر حتى يقرّ كل عظم في موضعه معتدلاً، ثم يركع ويضع راحته على ركبتيه.

وتابع أبو حميد رضي الله عنه في وصف صلاته مرتباً حتى أتى إلى التسليم. قالوا كلهم: صدقت هكذا كان يصلي ﷺ، مع أنه لم يذكر فيها القبض وقد ذكر جميع الفرائض والسنن والمستحبات ولم يذكر فيها القبض ولم يناقشوه فيه - رغم أن المقام كان مقام احتجاج وامتحان - وبهذا نعلم أنهم متفقون على أن القبض ليس لازماً في صفة صلاته ﷺ.

أما قول مالك رضي الله عنه في الموطأ، «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة».

فإن هذا الحديث يدل على أن الصحابة كانوا قبل ذلك يسدلون والا كان أمراً بتحصيل الحاصل وهو عبث محال عليه ﷺ، وحديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه: «رأيت رسول الله ﷺ وضعت شالي على يميني فأخذ يميني فوضعها على شالي» يدل هو أيضاً على أن ابن مسعود رضي الله عنه كان حديث عهد بالقبض، لأنه لا يجوز أن يجهل صحابي جليل مثل ابن مسعود فعلاً من أفعال الصلاة الذي يكرره كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل.

وهذان الحديثان يدلان على أن السدل هو أول فعليه، والذي يدل على أنه آخر فعليه ﷺ استمرار عمل الصحابة عليه إذ لا يجوز جهلهم آخر حال الرسول ﷺ.

وأما مالك رضي الله عنه كان من تابعي التابعين، وقد أخذ عن علمائهم

الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله ﷺ وهذا اعتمد على ما شاهدته منهم من السدل، فقال رحمه الله انه لا يرى القبض في الفروض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم^(١) في المدونة وأخذ به أصحابه .

هذا ومن أراد مزيداً من الايضاح في هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل في أدلة القبض والسدل» للعلامة الحاج سعد بن عمر توري^(٢) أو يطالع كتاب «ما قل دل في أدلة القبض والسدل للاستاذ الشيخ احمد التجاني الفتوي»^(٣) فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين - جزاهما الله خيراً - مسائل القبض والسدل ويحثا عن احكامهما بحثاً دقيقاً وبيننا مشروعية كل منهما وماخذهما من صلاة الرسول ومن عمل الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وهذان الكتابان في غاية الأهمية لمن يريد التفقه في أحكام القبض والسدل .

ومن ذلك اتفاق الأئمة على استحباب وضع اليمنى على اليسرى في القيام وما قام مقامه، مع قول مالك في أشهر روايته أنه يرسل يديه رسالاً، ومع قول الاوزاعي انه يتخير، فالاول مشدد والثاني وما بعده مخفف، وان تفاوتت التخفيف اختلفوا في محل وضع اليدين فقال أبو حنيفة: تحت الشرة، وقال مالك والشافعي تحت صدره فوق سترته، وعن احمد روايتان اشهرهما كماله أبي حنيفة واختارها الخرقي^(٤) . هذا، ومن

(١) عبد الرحمن بن قاسم العنكي المالكي المتوفى ١٩١ هـ .

(٢) السيد سعد عمر توري مدير امدرسة سبيل الفلاح، سيقوج عماليه .

(٣) الاستاذ احمد التجاني به الخطيب الاسلامي في اذاعة والنفرة ابادجاناس .

(٤) عمر بن حسين أبو القاسم الحنبل المتوفى ٣٣٤ .

الجدير بالذكر ان هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعاراً لهم ليميزوا به عن غيرهم او ليقدرّوا عددهم، والقبض أشرف من أن يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلّين، أو لتمييز بعضهم بعض .

ولا ينبغي أن يكون القبض والسدل مصدرَي الخلاف بين جماعة المسلمين، اللهم الا اذا استوى عليهم التعصب او الجهل باحكام الفقه لانها ليسا من الشروط التي توقفت عليها صحة الصلاة، وليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكّدة، ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لأفعال الصلاة، ولكن اخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا احكام الصلاة، وجعلوا الفضائل محل الفرائض، وفي الحديث: (من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين) متفق عليه، وأخيراً نختم هذا الموضوع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه «موقف الفصل» ونصه ما يلي: «فأقول اذا يا اخواني ببطلان صلوات السادلين أو القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له في الشريعة، ولا قال به من يعتدّ بكلامه من الأجلة، ونسبة فاعل أحدهما أو تاركه الى البدعة او النفاق او الكفر الموجب للخلود في النار، ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن في الايمان والوقوع في الاعراض حرام في الشريعة المطهرة، ولا نتيجة له سوى التدابر والتضاغن والنزاع والتفرقة وقطع الارحام وهجران المساجد وسدّها، واغلاق المدارس المؤدي الى اضعاف المسلمين وفشلهم، وتسليط الاعداء عليهم كما وقع - فعلاً - في بلادنا بفعل هذه الشرذمة التي ما زالت تسعى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة» .

التداوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

وجدير بنا ان نأتي بهذا الموضوع لأنه من أشهر المواضع التي تنبئ الخلافات بينا وبين الوهابيين، فهم يرون ان من كتب شيئاً من القرآن أو من أسماء الله تعالى وعلق عليه سواء للتداوي به أو للمحorz فقد كفر بالله. ويرون ان فعله هذا نوع من السحر أو هو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن والحديث في هذا الموضوع. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ (الاسراء: ٨٢).

وقال أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (الفاتحة: ٤٤).

وآيات الشفاء معروفة ومشهورة لورودها في القرآن الكريم في ستة مواضع، فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الامراض الحسية والمعنوية، وشفاء من الامراض الظاهرة والباطنة، بدليل ما ورد في الحديث: (الفاتحة شفاء من كل داء) رواه البيهقي.

وقال عليه السلام : (خذ من القرآن ما شئت لما شئت).

وقال ايضاً : (من لم يستشف بالقرآن لا شفاء له).

وقالت عائشة : « كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى رقاہ جبريل » فقال :
(بسم الله يبريك من كل داء يشفيك من شر حاسد إذا حسد).

وروى عنها ايضاً : « كان ﷺ إذا اشتكى يقرأ نفسه بالمعوذات وينفث في يده ويمسح بها ما بلغ من جسده » وهذا دليل على ان التدوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى جائز وأخذ العوض عنه جائز كذلك بما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : انطلق نفر من اصحاب رسول الله ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من العرب فاستضافوهم فلم يضيّفوهم، فقالوا لهم : إن سيدنا قد لدغ وقد سَعَيْنَا له بكل شيء فلم ينفعه، فهل عند احد منكم شيء ؟ فقال بعضهم نعم، والله إني لا أرقى، ولكن استصفناكم فلم تضيفونا فما اني براق حتى نجعلوا لي جعلاً « أي أجراً » فصالحوهم على قطع من الغنم، فأخذ الصحابي يقرأ الفاتحة ويتفل عليه فقام الرجل يمشي وما به علة، فأوفوهم جعلهم ولمّا رجعوا الى المدينة اخبروا النبي بذلك، فقال لهم النبي ﷺ : (إن أحق ما اتخذتم عليه أجراً كتاب الله) رواه البخاري .

هذا ولنا أسوة حسنة بأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم في كل شيء، والذين سبقونا إلى هذا العمل الطبي وأخذوا عليه الاجرة، فأجاز لهم الرسول أكل هذه الاجرة، وهو ﷺ اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز .

وأما قولهم بأن الرقية هي الجائزة، لكونها هي الواردة في الاحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب والتعليق .

وأن الكتابة حرام مطلقاً، فهذا القول مردود لانا لم نجد في احكام الشريعة الاسلامية حكماً يجوز التللفظ به ويحرم كتابته .

فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعاً كتابته، وما لا فلا !

ومن المعلوم ان الكلمات التي لفظ بها الراقي هي نفس الكلمات التي يكتبها الكاتب على السواء، ولا يحتمل تجويز احدهما مع تحريم الآخر، فاللفظ والكتابة أمران متحدان حكماً ومعنى يقوم كل منهما مقام الآخر .

وفي «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني : «ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن» ويكون مستوراً بظاهر يقية الآذی . ولا بأس ايضاً بالرقية من غير القرآن حيث كان عربياً مفهوماً المعنى كالمشتمل على ذكر الله ورسوله، وأما ما لا يُفهم معناه كالكلمات العجمية والطلاسم المبهمة فلا تجوز الرقية بها، لأن الامام مالك رحمته الله سُئِلَ عن الأسماء العجمية قال : «وما يدريك أنها كفر؟» وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا فرغ أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده من همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره) وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبها في صك ثم علقها في عنقه . رواه أبو داود والنسائي والترمذي .

ويقول عليه السلام : (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك) ويقول ايضاً في حديث آخر : (لن يعجل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها).

ويستفاد من هذين الحديثين على أن التداوي بأسماء الله تعالى وآياته يجوز مطلقاً، لأنه لو لم يكن جائزاً - كما يُفهم من سياق هذا الحديث لما شفي بها أحد من الأمة ، وقد اثبت التجارب أن آفاقاً أو ملايين من

المرضى قد شفاهم الله بمحض ارادته، ثم بركة هذه الآيات المكتوبة.

وشأن هذه الآيات المستشفى بها ، شأن غيرها من الأدوية الأخرى وكلها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى .

هذا وليس من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغدو إلى الصيدليات لشرائها طلباً للشفاء، أكثر أهمية وأعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات الشفاء التي نكتبها هي أيضاً لنفس الغرض.

فكل من الآيات المكتوبة والعقاقير المشروبة والعمليات الجراحية المستعملة لا قوة لها في حد ذاتها لدفع المرض أو استعادة الصحة، ولكنها اسباب ووسائل ليس إلا!

فالشافي الحقيقي إنما هو الله وحده . ولقد اجاد من قال :

إن الطبيب لذو علم ومعرفة ما دام في أجل الانسان تأخير
حتى إذا ما انقضت أيام مدته حار الطبيب وخائته العقاقير

أما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل : (من علّق تميمة فقد أشرك).

والحديث القائل : (من علّق تميمة فلا أتم الله له، ومن علّق ودعة فلا ودع الله له).

فهو - على ما أعتقد - من الوهم اللغوي عندهم لأن التهاثم معناها في اللغة «خزوات» هي ما ينظم في السلك من الجذع والردع وما يشبهها، وقد كان الاعراب في الجاهلية يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح، فلما جاء الاسلام نهاهم الرسول عن ذلك .

وعلى هذا، فإن المراد بالتهاثم والودع في الحديث المذكور إنما هي تهاثم الجاهلية وودعهم التي كانوا يعلقونها قبل الاسلام، ولا يتصور حمل هذه الاحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية والاسماء الالهية للتعوذ بالله، أو لطلب الخير منه لما سبق ذكره من احاديث وآيات الشفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!

وستان بين خرزة مثقوبة، وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الاعراف: ١٨٠).

والدعاء سواء كان باللفظ أو بالكتابة، وسواء للدنيا أو للآخرة، كله جائز لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتَسْبُلُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ ثَمَرًا﴾ (غافر: ٦٠).

ولما في الحديث : (الدعاء مُجَّ العبادَة) هذا وينبغي استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التي مازال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم .

ويجب منعها ايهاهم تبعاً للاحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه الجذع والودع المعروفة .

وأما كتابة هذه الآيات القرآنية وهذه الاسماء الإلهية لقصد الضرر وظلم عباد الله كإهلاكهم مثلاً، وإتلاف أمواتهم أولاً إدخال العداوة بينهم فهو الممنوع الحرام، يعاقب به فاعله والمفعول له معاً، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً. ويجرم كذلك الدخول بها في الأماكن النجسة والمواضع القدرة. ويجب على المشايخ التنبيه عليه وتحذيره، وإن لا يكتبروها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعاً، وتكون مستورة بطاهر كالجلد ونحوه وحيثئذ لا حرج والله أعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء والاتجاهات من دعاة الوهابية أيما اختلاف، وكأن لكل واحد منهم أوامره ونواهيه الخاصة به ينفرد بها دون غيره، وليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة وتلك الاتجاهات المتناقضة والجمع بينها .

وبما أن الواجب على المرء أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بأن يسمع ذلك الشخص ما قيل عنه، أو يقرأ كتبه أو يجتمع بأصحابه المقربين، لذلك بذلت جهدي في تحصيل الكتب الوهابية، لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل أن اصدر حكمي لها أو عليها، وقد اطلعت على بعض هذه الكتب وقرأت شيئاً من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله، كما اجتمعت ببعض وهابيين بلادنا البارزين، واستمعت إليهم وفهممت مقاصدهم وخلال مقارنتي بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين ما هو عليه وهابيو بلادنا لاحظت اختلافاً جوهرياً في الأقوال والأفعال بل وفي العقائد بين الإدارة

الوهابية وبين المتوهبين الآخرين، وخاصة أولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماماً وبصفة غير معهودة بين المتبوع والتابعين، وذلك مما يؤكد بوضوح على أن الدعوة الوهابية قد أصابها داء التعصب والفوضى من قبل بعض المتطرفين والمنحرفين، الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم والمثل العليا، وأقل ما يقال فيهم أنهم أصحاب مرأى وجدال استولى عليهم الجهل والتعصب - بل هم قوم خصمون -».

وها أنا أنقل لك أيها القارئ الكريم بعضاً من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى بعض أتباعه، والتي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة الصلاة على النبي «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني اعتقد ما اعتقده أهل السنة الجماعة من الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وأقر بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له الرسول ﷺ، ولكنني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنبه ولا أخرجُه من دائرة الاسلام.

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله.

ونحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلّد الائمة الأربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدّعيه».

انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي بين فيها عقيدته وما هو عليه^(١).

ولكن لننقل لك ايضاً - أيها القارئ الكريم - بعض المحاورات والمناظرات التي جرت بيني وبين الاصدقاء الوهابيين، ليتبين لك عقيدة وهابي بلادنا، ولتعلم ايضاً بأن جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن علم اليقين . «وليس الخبر كالعيان».

لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سكاسو» فجاءني بعض الاصدقاء الوهابيين للسلام علي كالعادة، ولما استقر بنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية وتأثيرها في المجتمع، واقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم ونزيل الخلافات القائمة بيننا فابتدرت بالسؤال قائلاً: لماذا خرجتم من المسجد وتركتم الصلاة معنا فهلا نصلي معاً فمن شاء منا يقبض يديه ومن شاء يسدل كما هي الحال في كثير من المساجد؟ فأجابني احدهم قائلاً: لا يا أخي المشكلة ليست في القبض أو في السدل، ولكننا في الحقيقة نعتبركم مشركين، فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم، ثم قلت له: لأي شيء تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلقون التائب وتوسلون بالأنبياء والصالحين فعلمت ان هذا الأخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة الى طبيب الارشاد.

وتحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق: نعم، ولكن لا يستطيع المسلمون ان يتحدوا الا إذا تمسكوا بالكتاب والسنة وتركوا ما سواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين .

(١) نقلناه من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية».

وما دام يقال هذا مالكي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضاً أن هذا الأخير أشد جهلاً من الأول، وقد بلغ به جهله أن ينكر كل شيء حتى على المذاهب الأربعة المجمع على صحتها.

وفي مدينة «قاونني» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق، تحدثت يوماً مع واحد منهم فقلت له : ما رأيكم في هذا المسجد الذي تقيمون فيه صلاة الجمعة، هناك جامع عتيق غير ضائق، وليس ثمة عذر شرعي يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا في بعض الأوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلاً فكيف ترون صحة صلاة الجمعة في هذا المسجد؟ فقال لي: شكراً على هذا السؤال، ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذي ذكرتموه من أن صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثني عشر رجلاً إنما هو من قول الإمام مالك رحمته الله، فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الأئمة فالمعمول عندنا أن صلاة الجمعة تصح باثنين وبثلاثة وبأربعة بلاحدّ.

وأعجب من هذا، فقد جئتني في العام الماضي أخ وهو من أهل البادية في نواحي «نيور» وقال لي بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة، سواء كان في القرية أو في الغلاة، وحقته في ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصلي مع جماعة من الملائكة وقال لي هذا الأخ بأنه شخصياً صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وهو رابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا في مسجد مبني، فسألني ذاك الأخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالاعادة ظهراً، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يحزّمه وهابيو بلادنا الصور «الفوتوغرافية» حتى أن

بعضهم لا يبيع ولا يلبس الأقمشة التي توجد فيها صور الأشخاص أو الحيوانات، ولا يخفى أن علماء الحرمين الشريفين قد افترضوا بجواز هذه الصور "الفوتوغرافية" لاهميتها في شتى المجالات، ولا حاجة لنا إلى السؤال، هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين أم الحق مع علماء الحرمين الشريفين ؟

أما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الأرجح، لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة، فلا تزال نشاهد الدخان يخرج من فم الأخ الوهابي وهو لا يستحي أن يضر نفسه ولمن يقربه من تن هذا الدخان، بينما قرأنا في الكتب الوهابية بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين.

فإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقرر لكرامات الأولياء.

ولا يكفر أحداً من المسلمين بدينه، وهو في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فإن أتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم «وهامين» بدلاً من الوهابيين لإنتهاجهم سلوكاً آخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي .

واستناداً لما على هذه الحقائق المذكورة، فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا إلى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر .

والوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله والصلاة على نبيه المصطفى

وأضف الى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ ولآل بيت النبي فكل من
تكوّنت في شخصيته هذه الصفات فهو الوهابي الكامل، الذي يسمى
عندهم بالسني.

هل هم سُنيون أم وهابيون ؟

يغلط البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يُستون أنفسهم بالسنيين، بينما لا علم لهم بالسنة إلا اسمها، ولا صلة لهم بها أكثر من ادعائها والتفاخر بها، كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها الالافظ منها كانت صفاته وكيفما ساء سلوكه وأخلاقه.

ولكن هيهات أن تحقق الإدعاءات نفعا أو تقيم لأصحابها وزنا .

ويزعم هؤلاء المعنيون انهم سُنيون وليسوا بوهابين، والعجب كل العجب أن يدعي الجاهل أنه سني أو أنه زعيم للدين بارز وليس من المعقول أن يكون الجاهل سُنياً، فإن العلماء أنفسهم عجزوا أن يكونوا سُنيين حقيقيين إلا الخواص - وقليل ما هم - فكيف بالجهال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنة عبارة عن اتباع سنة الرسول ﷺ وأصحابه، والافتداء بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم، وذلك يقتضي العلم والعمل معاً.

وبفقد الأول تكون سنية الجاهل محالاً وبفقد الثاني تكون سنية العالم باطلا
ولا بد من اجتماعهما معاً، وإلا فهي سنية اللسان لا غير، فنحن لا نقبل
سنية الجاهل مهما طاللت لحيته أو اشتد تنسكه .

وفي الحديث : (شر أمتي رجلان عالم مُتَهَنِّكٌ وجاهل مُتَنَسِّكٌ) وقال
الشاعر :

فاسد كبير عالم مُتَهَنِّكٌ وأكبر منه جاهل مُتَنَسِّكٌ
هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك

وقال الآخر : كم لحية طاللت على ذقن وما تحته الا الغبارة والجهل

فالسنة النبوية تلاحظ صاحبها في جميع حركاته وسكناته، وتراقبه
في كل العبادات والمعاملات من المشي والكلام والأكل والشرب والبيع
وغيرها، وهي تفرض على المرء ان لا يفعل حتى يعلم حكم الله فيه، ويسأل
العلماء ويقتدى بالمتبعين لسنة محمد ﷺ .

ومن هنا نعرف ان السنة لا تكون في زي خاص، ولا في هيئة معينة،
بل هي اشرف من ان تستر في مثل تلك الاماكن التي إن هي إلا حائل
يصطاد بها ضعفاء العقول والعقيدة. وفي الحديث : (إن الله لا ينظر الى
صوركم ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى ما في قلوبكم وأعمالكم) رواه
الطبراني.

هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات
الإيمانية التي يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية والتي تتمثل في توفير

اللحية ولبس البيض، والتغطى بالعمامة ما الى ذلك، لا تكفي بأن تكون تعريفاً كافياً للسني الحقيقي، وهم - مع الأسف - قد اخطأوا في تقدير السنية حيث قيدوها في نوعية اللباس وفي ظاهر الهيئات .

وإنما يعرف السُّنِّي بظواهر تقوى الله في السر والعلانية، وبامثال الأوامر واجتناب النواهي، وبالصدق في القول والاخلاص في العمل، وبالقيام بوظائف العبادات من الفرائض والسنن والنوافل وأدائها كاملة غير منقوصة .

ويعرف السني كذلك بالتخلي عن الأوصاف الذميمة والاحوال الموضيعة، والتحلي بمحاسن الصفات ومكارم الاخلاق .

فمن شأن السني ان يدعو الناس إلى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادهم بالتي هي أحسن كما من شأنه أن لا يكون سباً ولا لعناً ولا فظاً غليظاً ولكن هَيِّئْ لَنَا يَعْفو وَيَصْفَحْ وَيُبَشِّرْ وَلَا يَنْفِرْ اقْتِدَاءً بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ الْقَائِلِ «لَمْ أَرْسَلْ بِسَاساً وَلَا لَعَناً» والذي قيل عنه : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ﴾ . {آل عمران : ١٥٩} .

والسني -بعبارة أوجز- هو من وضع قدمه على قدم الرسول ﷺ، بحيث تكون أقواله وأفعاله مطابقة لأقواله وأفعاله ﷺ، يُصَدِّقُ لِسَانُ حَالِهِ لِسَانَ مَقَالِهِ، ويكون متصفاً بمكارم الاخلاق في سائر الأحوال السرية والجهرية، وفي جميع تصرفاته ومعاملاته مع الناس .

والسني لا يتجاهر بسنيته ولا يتفاخر بها، بل يخفيها قدر الامكان خوفاً من الابتلاء، وجرياً على عادة السنين الحقيقيين. ويكون السني مجتنباً للكذب والغيبة والنميمة، عازلاً عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات، النفسانية راضياً القضاء حلوه ومره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير، ويكون شغله الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله ومعالجته من امراض الكبر والحسد والعُجب والحرص، وتطهيره من دنس الخواطر النفسانية، والوساوس الشيطانية، ويترك الهذر والفضوليات ويتقي الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه، ويحذر الغش في بيعه وشرائه، ويراعي حقوق جيرانه ويتحمل أذاهم ويوقر كبار المسلمين ويرحم صغارهم ويساعد الضعفاء والمحتاجين .

ويقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة، ويصل من قطعه ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه ويحب لغيره ما يحب لنفسه ويضيف السني الى كل هذا، الاحتساب الى الله وتفريض أمره إليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائماً بين خوف ورجاء لا يزكي نفسه ولا يعجبه علمه أو عمله لما في الحديث : (الناس كلهم هلكى الا العالمون، والعاملون كلهم هلكى الا العاملون، والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم).

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السني وهذه صفاته فانظر نفسك أيها الأخ الوهابي فان كنت هكذا فأنت سني حقاً. وإلا، فلا ! وإياك ان تكون من الذين يقولون ما لا يفعلون، قال تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف : ٣).

وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها

فَصِلَةُ الرَّحِمِ واجبة في الكتاب والسنة والاجماع. قال الله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١١).

ومعنى الآية - والله أعلم - اتقوا الله وصلوا أرحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية. وفي الحديث : (يقول الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته). رواه الطبراني عن جرير. وقال عليه السلام : (الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله). أخرجه الطبراني والبيهقي، ويروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم).

ولهذا جاء الاسلام مهتماً بشأن الأرحام، وحث المسلمين على صلتها ورعايتها في جميع المستويات، وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ يَرْفَعُ اللَّهُ صَوْتَهُمْ وَيَقْطَعُ رِجْلَهُمْ عَنْ حَقِّهِمْ كَيْدُكُمْ وَلَمْ يُؤْمَرْ اللَّهُ بِالْإِثْمِ وَالْفَوْاحِشِ إِنَّ يُؤْتَى بِكُمْ فِي الْأَرْضِ الْوَلِيُّ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (الرعد : ٢٥).

وقد ظلت صلة الرحم عنصراً هاماً من عناصر الدين وهدفاً حيوياً من أهداف الاسلام، ولها أهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري أن توليها أقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها أي الرحم عاهد الله تعالى أن من قطعها قطعته الله ومن وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.

فمن واجبتنا -نحن التلاميذ- وكل المسؤولين أن نعلم اخواننا المسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم، وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم وبين ذويهم وما وعده الله للقاتلين بهذه الواجبات الانسانية. ونحذرهم كذلك من معبّة قطع الارحام وتشريق وحدة المسلمين وما يترتب عليها من الندم والخسران في هذه الدار وتلك الدار الآخرة. وفي الحديث : إن رحمة الله لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم). رواه الاصبهاني. وقال عليه السلام : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). متفق عليه عن ابن عمر، فالسعيد من لم يكن سبباً للتفريق بين الأمة، او لادخال العداوة بينهما. ويقول الرسول ﷺ : (أيما رجل قام يفرق بين أمتي فأضربوا عنقه). ويقول أيضاً : (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها). رواه الديلمي. هذا وما دما في موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة برّ الوالدين ووجوب طاعتها والاحسان إليها قولا وفعلا والدعاء لها في حال الحياة

وبعد الوفاة، لانها سبب الوجود وسر الحياة، وخاصة للذين ربّيك قريبة اسلامية. فعقوقها من الكبائر التي يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحثك على عقوقها ومقاطعتها إلا عدوك الذي ينتهز فرصته ليختلس ما لديك ثم يثبرا منك يوم تقف بين يدي الله تعالى .

وهناك من افراد الوهابيين من يعقّ والديه ويعتبرهما مشركين لا لشيء سوى انها لم يستسلموا للدعوة الوهابية، أو لم يقبضاً أيديهما في الصلاة، ولا يراعي فيها حقوق الابوة ولا يؤدي لها واجب النبوة، وهو يعرف ان أباه هو الذي أخذ بيده وهو صغير وذهب به الى المعلم ليعلّمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين، فلما كبر هذا الولد المسكين «وتوهّب» أبى الا ان يسمى اباه هذا مشركاً عازماً ان لا يعامله الا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسلم والمشرک.

وصار - بهذا القرار - ناسياً او متناسياً كل ما قدّم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحنو أيام مهده وصباه. وقد أنساه شيطانه أنه لو ذهب به أبوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانياً، أو الى الكاهن لكان ساحراً عليها. فاذا كان هذا هو جزاؤك لوألدك ايها الولد، فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولا شك ان هناك أيادٍ مجرمة تحركهم من تحت الستار، وتشجعهم على المضي بها همّ عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم، وتزيّن لهم سوء أعمالهم هذه بأنها نوع من الجهاد، وأنها من امتثال أوامر القرآن حيث يقول الله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ

أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿الْمَجَادِلَةُ : ٢٢﴾ .

فاتقوا الله ايها الأولاد واذكروا قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ {الاسراء ٢٣} .

وقوله عليه السلام : (الجنة تحت أقدام الأمهات) رواه الحاكم وصححه .

خاتمة الكتاب

وفي الختام، أرجو من الأخوة الوهابيين ساعني الله وإياهم ان يرجعوا عن الإنكار بما لم يحيطوا به علماً، وان يبادروا الى التوبة بالندم على ما فات. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠). وان يجنبوا سوء الظن بأخوتهم المسلمين. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ﴾ (الحجرات: ١٢).

وقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢).

وقال: رسول الله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). رواه أحمد عن أبي هريرة. وقال أيضاً: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس). أخرجه أبو نعيم.

هذا ولا بد من النهي عن المنكر ايّا كان مصدره لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (من رأى منكم منكراً فليُغيِّرْهُ بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيَّان). رواه مسلم والترمذي.

ولكن يجب التمييز بين كبائر الآثم وصغائر الذنوب، وبين ما يؤدي إلى الشرك وما يفضي إلى الحرام، ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه، وقد جعل الله لكل شيء قدراً وهو سبحانه وتعالى المحلل والمحرم، وليس لاحد تغيير احكامه، ولا تعدية حدوده، وإنما عليه وضع النقط على الحروف قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا إِبْرَاهِيمَ النَّحْتِ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَبِدِينَ﴾ {المائدة: ٧٨} . وقال : ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ {البقرة: ١}.

وعلى ضوء هذه الآيات البيِّنات والاحاديث النبوية الشريفة، نوجه ندائنا إلى قادة الامة من العلماء والحكَّام وجميع اولياء الامور بصفة عامة، ان يشاركوا في انقاذ هذه الامة التي تكاد تفقد دينها ودنياها وكل شرفها ومعنوياتها. فعليهم ان يوحِّدوا صفوفهم ويضاعفوا جهودهم ويعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين. ويتعين على هؤلاء القادة أينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حلِّ الخلافات والمشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للمدين والوطن والانسانية جمعاء.

ومعلوم بالضرورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون والعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت إلى درجة تكفير المسلمين بعضهم بعضاً مثلما حدث فعلاً من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين

تضررت بهم الاخوة والدين والأرحام معا.

وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدية في شأن هذه النزاعات اللاشرعية، ووضعت حداً نهائياً لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقاً لقوانين الشريعة الاسلامية التي يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بأيدي من حديد على أيدي أولئك المجرمين الذين يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو حل هذه الخلافات، فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسيستهي الأمر الى حروب أهلية لا محالة .

ويتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الائمة والوعاظ، ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة، ويعلموا أتباعهم وتلامذتهم ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضاً. وان يلازموا الحذر كي لا يتخذهم الشيطان وسيلة للتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدروا هذه المسؤولية الجسيمة التي وضعها الله على عواتقهم، والتي هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). متفق عليه، وذلك ما نريد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع كلمتها وحماية وحدتها بدلاً من اثاره الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين .

وهذا ما تيسر لنا جمعه من هذه المسائل، على اننا لم نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب جميع ما تتطلبه هذه المواضيع من الشرح الطويل والبحث الدقيق، وانما هو امثال فقط للأمر بوجوب النصيحة وإيذان بان الذكرى

قد ننتفع المؤمنین .

وفي الختام نتجه الى الله القدير قائلين اللهم أيد الاسلام واجمع كلمة المسلمين، ووفقتهم لرؤية الحق حقاً وأعنتهم على اتباعه، ولرؤية الباطل باطلاً وأعنتهم على اجتنابه، اللهم انت الشاهد وكفى بك شهيدا إن اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيتي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، سبحان رب العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تقاريط العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفه عرضناها على كثير من علمائنا المتفقيين وأساتذتنا المثقفين في مختلف الأماكن والأوطان، وطلبنا منهم ان يبدو بأرائهم وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفه وعباراتهم، ورجونا منهم كذلك ان يساعدوا على تصحيح ما يصدر فيها من الخطأ والمفوات .

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا حيث قاموا بمراجعتها وتصحيحها مرات عديدة، وأدخلوا فيها مزيداً من التغييرات والتعليقات تتطلبه الحاجة ويقتضيه الموضوع، وأخيراً أقرروا جميعاً عن استحسانهم بهذه المؤلفه وتأييدهم لها .

ونحن إذ نحمد الله تعالى في البدء والختام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا .

في تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعاً بلغ الغاية .

ولا أدلّ على ذلك من هذه التقارير التي كتبوها بمحض ارادتهم، ويعثوها إلينا من مختلف المدن والجمهريات، وفيها يلي نص تلك التقارير على التوالي:

حضرة الاخ الحاج مالك به : إنني راجعت الرسالة من أولها الى آخرها كباحث ومتفقد حرفاً حرفاً بل جملة او كلمة، فوجدتها صحيحة وموافقة للموضوع الذي قمتَ لُسيبه وهو الرد على الوهابية. فكلّيات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين .

فأرجو من الله تعالى ان يزيدك فهماً، وان يعينك على الاصلاح ما استطعت، وان يجعل مثواك غداً مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين .

من الاخ ابي بكر حجتي

مدبر مدرسة «سبيل الديانة» موبتي جمهورية «مالي» mali

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فليعلم الواقف على هذه الورقة
أني قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحاً
فوق الغاية، مكتوباً بقلم الفصاحة والبلاغة والادب، بل هي جريدة حسناء
بلغت الغاية في الجمال.

فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء، وأدام شمس سيادتك العلية،
ورعاك بعين رعايته من حاسد اذا حسد ، والحمد لله على التمام ودمتم بخير
وعافية

الكاتب عثمان عبد الله سكلي
المدرس في مدينة سنس عبد الله عصمه الله
جمهورية «مالي»

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن مدينة تمباكندا - بالسنگال - بعث إلينا الاستاذ جيران الحسين
جاكو بهذا التقريظ القيم استهله بقوله :

قال الحسين بن محمود جاك : شهدت بالله الله في الله بانك جاهدت
جهدك في سبيل الله، جزاك الله عن الاسلام خيراً من اجل كتبت الحروف
بقولي :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| الحاج مائك به أفضى برسالة | للرد والتحقيق بل لتودد |
| فبخ بخ لرسالة مرسومة | بعناية من فيض جود محمد |
| برواية منقولة من سنة | ودراية ومواهب من ماجد |
| استاده اي الكتاب المحكم | فجزاه ربي بالجزاء الأجد |
| فغرور والمغرور كل سادم | فرح الغيور لصون سنة أحمد |
| دُم باحثاً متضلعا متورعا | متجاهداً حتى تلاقي احمد |
| صلى عليه الله ما دام اخدي | يهدي إليه هداة دين محمد |
| والآل والأصحاب مع ازواجه | ومن انتمى يوماً للدين محمد |

الحسين بن محمود جاك
الخطيب الاسلامي بدار الاداعة الوطنية
«تمبا كندا» جمهورية السنغال

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية وصلنا التقريظ
التالي الذي بعثه إلينا زميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا
نصه : الحمد لله الذي قَدَّرَ فهدى والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ﷺ
وبعد: ان الاخ المسلم والصديق الملهم السيد الاستاذ الحاج مالك به جدير
بأن يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضلوا وضَحُّوا بأرواحهم وهدروا
دماءهم الغالية للحق ومن اجل الحق .

وان هذا التأليف لجدير ايضاً ان يُكْتَبُ بهاء الذهب والفضة واني
اقسم بالله : قد وضعت النقاط فوق حروفها وقد امطت اللثام عن حركات
المشبهين لدين الله والذين جاؤوا بالبدع وكفَّروا كل من خالف بدعهم
واهواءهم الفاسدة والله وقد زادوا الطين بلة لمخالفة رؤساء الاسلام في
مسألة الاغاثة، وخطأوا في التقدير رغم اجتهادهم في الدين وكلمة التوحيد،
أقال الله عثرائنا وعثراتهم .

وانا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين،
سدَّدَ الله خطاك أيها الاخ المسلم وبارك فيك وفي قلمك الميمون.

هارون موسى جل
معلم القرآن الكريم في مدينة كيهيد
ج الاسلامية الموريتانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ولما وقف على هذه المؤلفة الشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن
الحاج يوسف صمب الله دارمي قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة
والاضطراب هذه الأبيات :

| | |
|--------------------------------------------|------------------------------|
| من بحره الزخار ذات دلائل | لله دُرُّ فتى اتى برسالة |
| ردت دعاوى كل أحق جاهل | عذراء لم تسبق بميدان الحمى |
| ابشر فسعيك واصل للمعادل | يا مالك العالمين ظهير باطن |
| من مكر شرذمة بعزم مناضل | صنت الطريقة اهلها بردودها |
| لطريقة القطب الشهير الواصل | نرجو بك النصر المبين لنهجننا |
| وبتك بالهادي الأمين الفاضل | اعطاك ربك مبتغاك بهذه |
| إذا في القطار يقوئى بمتمايل ^(١) | عبد العزيز كتبها بعجالة |
| ختم الرسالة والولاية عامل | اني احبك في الآله وأحمد |

الاستاذ عبد العزيز دارمي إمام الجامع
في مدينة بنقام جمهورية سيراليون

(١) لقد كتب سيادته هذا التفريط ونحن على متن القطار بين مدينة خامي وبمكو العاصمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب على عبده، وجعله منهاجاً لكل عابد
أواب وأمره فيه بأن يدعُونَ إِيَّاهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿۱۲۵﴾ {النحل: ١٢٥}

والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل (نصر الله
امراء أسمع منا قبله كما سمعه).

قُرْبٌ مَبْلَغُ أَوْعَى مِنْ سَامِعِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَهْدَى إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ
وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم .

وبعد : فقد اطلعت على - تأليف اخينا في الله الاستاذ الاديب الارب
الذي أثار الله عقله لخدمة الاسلام والمسلمين السيد (بالخاج مالك) ابقاه الله
مناراً لكل سالك، فوجدته مع صغر حجمه احسن وافضل كتاب الف في
هذا الجانب ولم أتمالك نفسي ان قلت موجزاً:

مبيناً لنا حقاً منار الطريقة
بضلل بعض المدعين لسنة
فقيه نزيه ذي تقى ومروءة

تبليج نور في ظلام جهالة
فبدد أوهام الضلال التي بها
على يد شاب مسلم متورع

عنيت به شمس الهداية مائكاً
فلله دره فسى متشمرا
ابان لمن رام السعادة والرضى
اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا
تفيض انعلوم من يديه غزيرة
اتى بعجيب حين عبر معلنا
حقائق اسلامية تزقه باطلا
حقائق تخصى عن بذاء جاهل
ولن يجعل الله السبيل نظام
فبارب وحد بين كل الطوائف
دعواك ربى ان ثمن لعصرنا
فبارب جازه على ما احاده
وسامح لمحمود وبلغه للمنى
وعثم لكل المسلمين برحة
وصل على اهادي الكريم وآله

حباء الآله نيل افضل منية
لنصرة دين الله في كل لحظة
سبيل اهدى مستشهلاً كل صعبة
وابدى لسالك بكل نصيحة
ويرشد جاحداً بأوضح حجة
حقائق ترزى للدعى بحكمة
بتنص صريح من كتاب وسنة
ظلم كذوب ناسخ للشرعية
على مؤمن صوناً لأفضل بلومه
على الحق حتى لا نبالي ملته
بامثاله حتى نفوز بوحدة
وابدل له عيلاً فما بفضيلة
ووفر له فيضاً باحسن فيضة
تدوم عليهم من ذكور ونسوة
واصحابه دوماً الى يوم بعثه

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية، ينطلق منها ابناء بلادنا المستقنون المخلصون
لدينهم الى تمحيص عقيدة الاسلام من الخرافات والأوهام التي يروجها الانتهازيون
الذين يتحلون اسم الدين سعياً وراء اغراضهم الشخصية نسأل الهداية والتوفيق انه
على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

التقير الى الله محمود سليمان بوصو

المدرس بمدرسة الهدى الله ص.ب: ١٨٣٦ بامكو

جمهورية مالي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أسدى جلالت الأيادي، واسدل بسط العلم على من حباه
من الحواضر والبوادي. وحصر مذاهب الأئمة الأربعة والطرق الصوفية
في الكتاب والسنة. وجعل مقلديهم من خيرة أهل السنة والجماعة وصلاة
وسلاماً على مظهر الحقيقة والحق سيدنا محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد، وانني لما من الله عليّ بمطالعة ما ألفه صديقنا الصفي وحبيبنا
الروحي السيد الحاج مالك به، ونظرت إليه بعين التأمل والإنصاف فوجدته
صحيحاً للغاية، فحق أيم الله لكل مقلد للإمام مالك ولكل منصف سبيل
القصد سالك . أن يستشهد عند وقوفه على ما أوتي مؤلفه من المعارف،
والمدارك بقول جمال الدين الإمام مالك حين قال : وإذا كانت العلوم منحة
أهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر
فهمه على كثير من المتقدمين، وأرجو أن يجادل عنه الإمام رحمته في دار البقاء
جزاءً بمجادلته في دار الفناء. وأن يكف عنه أكف القابضين، ويقطع بسيف
تحقيقاته رقاب ذوي التنطع الغالين، بجاه سيد الأولين والآخرين.

والحمد لله رب العالمين

عشان بن عبد الله يقادو

مدرس القرآن الكريم في مدينة قد بنبي ثيتورج - مالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يهدي من يشاء الى الاسلام، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ايها الاخوة الاعزاء أبلغكم التحيات الطيبة بلا حد وبعد: رأيت إماماً من الوهابيين في موضع الوعظ في مدينة يوبو جلستُ وسمعت وعظه، وبعد فراغه منه اتيتهُ وقلت له : ايها الامام انت وجماعتك كلكم في ضلال مبين، فغضب عليّ وقال لي: كيف تقول هذا القول؟ فأجبتهُ قائلاً : قد استلمت كتاباً من تركيا يُسمى بـ (علماء المسلمين والوهابيون) عندما قرأت هذا الكتاب عرفت انكم في ضلال مبين

فقال لي : اريد أن اقرأ هذا الكتاب، فأعطيته له وقرأ الكتاب بتمامه في ثلاثة ايام. فرد عليّ الكتاب وقال لي: ما اسمك يا عزيزي، فأجبتهُ بأن اسمي غامسوري عمر، فقال: قد صدقت يا عمر، وعرفت الآن اننا كنا في ضلال مبين واترك انا واهلي هذا الطريق الباطل، واتوب الى الله تعالى توبة نصوحاً واخذ يأتيني حيناً فحيناً ويشكر لي في كل فرصة، فأهديت له ذلك الكتاب مع كتاب (مفتاح الفلاح).

ونشكر لكم شكراً جزيلاً وندعو لكم سعادة الدارين ونطلب منكم الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التي طبعتها مطبعة الاخلاص. وفي ختام رسالتي احمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم في الله

غامسوري عمر احمد ابن ابي الضياف

الفهرس

| | |
|------------------------------------------------------|----|
| إهداء الكتاب..... | ٥ |
| الوهابية وَمَنَعُهَا التوسل بالأنبياء والصالحين..... | ٩ |
| الوهابية وإنكارها للبِدْع مطلقاً..... | ٢٩ |
| بيان في أحكام الطُرُق والأوراد الصوفية..... | ٣٥ |
| الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب..... | ٤٥ |
| مسألة القبض والسدل..... | ٥١ |
| التداوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى..... | ٥٩ |
| بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم..... | ٦٥ |
| هل هم سنيون أم وهابيون ؟..... | ٧١ |
| وجوب صلة الرَّجَم وخطورة قَطْعها..... | ٧٥ |
| خاتمة الكتاب..... | ٧٩ |
| تقاريط العلماء..... | ٨٣ |
| فهرس الكتاب..... | ٩٥ |

كتاب الحفنة الشريفة العالمية

القاهرة